الصبر في شعر الفرسان في العصر السابق للاسلام

الدكتور أيهم عباس حمودي القيسي (*)

ان طبيعة الحياة التي كان يعيشها العربي في جزيرته وظروف بيئته المجدبة القاسية وما انبثق عنها من ظروف واحوال ، ورافقها عصبيات وحروب فرضت عليه ان يكون قويا امام صعوباتها صابرا امام تحدياتها لانه يعلم ان الانسان في كل الظروف والاحوال لايمكن له الحياة من دون توفير المستلزمات التي تحقق له هذه الغاية . فكان الصبر سلاحه الفعال ووسيلته المؤثرة لتجاوز كل موقف وتصريف كل حالة بما يناسبها من مشاعر واحاسيس تخفف من وقع المصاب اذا اشتد وتمنح النفس اشراقات الامل حين يعصف بها اليأس .

والصبر عتاد العربي فهو وسيلته لتجاوز صعوبة العيش وضنك الايام وهو سلاحه القوي المؤثر الذي يضيف الى شجاعته وفروسيته اقتدارا وقوة في ميدان الحرب .

ولعل تأمل الحياة التي عاشها العربي البدوية ذات طبيعة صحراوية يساعدنا في فهم الاسباب التي جعلت الصبر من بين المستلزمات التي لايستغنى عنها العرب بشكل عام والفرسان منهم على وجه الخصوص لا سيما ان نيران الحرب كانت تشتعل بين القبائل العربية بسبب التنازع على المراعي والحصول على مكسب او مغنم معين في صحرائهم الشحيحة ، وقد يخوضونها حماية لجار او مستغيث او اجابة ملهوف يبغي المساعدة أو العون . وفي ذلك تحقيق للقيم التي آمنوا بها، ونذروا أرواحهم سخية للذود عنها . وان كثيرا من أيام العرب وحروبهم كانت تثور لهذه الاسباب ، فضلا عن حالة التحدي الخارجي التي فرضت نفسها على ابناء الجزيرة العربية ، والمتمثلة باطماع الفرس والروم والاحباش ، وتهديدات هذه

(*) استاذ اللغة العربية المساعد في قسم اللغة العربية – كلية الآداب / جامعة بغداد.

الدول المستمرة للاستحواذ على مقدرات الجزيرة وارادة ابنائها. فكان التحلي بالصبر مظهرا من مظاهر الحياة ، ولونا من الوان التواصل في العطاء ، وكان يجد في التحلي به ما يخفف عنه شعوره بالخوف او التردد ، فاحتل الصبر منزلة سامية في حياة الفرسان لانهم أدركوا ان الشجاعة والفروسية لا تكتمل الا باعداد النفس وتربيتها على هذه القيمة الاخلاقية ، فحرصوا على تربية ابنائهم على حبها، ووطنوا النفوس على تحمل مشاقها ، فكانوا يعدون الابناء عليها اعدادا ، ويحرصون على تأكيد قيمتها ، لانهم يدركون أن النصر مع الصبر ، وان الصبر سلاح الشجعان .

ولم يكن هذا التصور الواعي والادراك العميق لقيمة الصبر وأهميته بعيدا عن مدارك الشعراء الفرسان واهتمامهم ، وهم الرجال الذين خبروا ميدان الحرب ، وعرفوا أن الحرب سجال ، وأن نهايتها اما غالب أو مغلوب ، فان يعد نفسه لمنازلة أخرى ستكون أشد وأقوى ، إن انهزم فعليه أن يمني النفس بالأمل في الصبر ، وهو في كلتا الحالتين يدرك أن الصبر سلاحه المؤثر لتحقيق هذه الغاية .

وقد وجدت المعاني والمضامين التي حملتها لفظة الصبر ودلالاتها التعبيرية موقعها في دواوين الشعراء الفرسان ، وهم يوشحون بها قصائدهم واشعارهم ، ويسجلون بها قدرة الفرسان وصلابتهم في مواجهة المواقف والظروف .

فلم يجزعوا من مصائب الدهر ، لأنهم يدركون أن حكم الدهر لا بد أن ينزل بالانسان ، فكانوا يأمرون النفس بالصبر ويجملونها بالتحمل ، وينفروا منها عن الدناءة ، لان الصبر هو من سجايا الشجعان ومن سمات الفرسان .

وحين يؤكد الشعراء الفرسان قيمة الصبر واهميته في مواجهة المصائب والشدائد، فانهم لاينطلقون من رؤية محددة ، أو نظرة قاصرة ، بل هي نظرة متحمسة تنم عن طول تجربة وممارسة في مثل هذه المواقف التي لاينفع فيها سوى الصبر .

وحين يوظف الشعراء الفرسان الصبر ودلالاته لخدمة موضوع القصيدة فانهم يدركون مسوغات هذا التوظيف ويفهمون قيمته الفنية في بناء القصيدة . لاسيما ان مفهوم الصبر قد احتل مكانة واضحة في شعر الفرسان ، فلا تكاد قصائدهم تخلو من اشارة الى قيمته ، وتأكيد لأثره في تحقيق النصر والغلبة ، او الدعوة الى التجلد في مواجهة الازمات والمصائب ، حتى بات هذا الاستخدام يمثل لازمة من لوازم بناء قصائد الفرسان .

ولم يكن هذا الاستخدام الفني للصبر ودلالاته مسألة شكلية تستلزمها أصول الصياغة الشعرية ، وانما هي وحدة قائمة منذ لحظة الشروع بالعمل [لان الشاعر الذي يضع الصيغة الشعرية لابيات القصيدة ينطلق من فكرة البناء الاولي وفكرة البناء هذه تتحدد في اطار الغرض الذي يرمي اليه الشاعر ، ووفق هذا الغرض تبدأ الاشكال تأخذ وضعها ، والصيغ تشكل ابعادها، والمعاني تنتصب شامخة واضحة التكشف عن الغرض المقصود، ومهمة الشاعر في هذا المجال تشابه مهمة القصاص الذي يبدا بوضع الخطوط الاولى لقصته منذ اول سطر يبدأ فيه] (١).

وهي مسألة استوقفت النقاد القدامى، فوقفوا عند ابعادها، وحددوا خطوطها الواضحة، ولعل تأمل شكل بناء القصيدة والخطوات التي كانت تسير عليها، ما يوحي بهذا النسق الذي كان يوحد بين الاجزاء، ويجمع بين الصور على وفق نظام دقيق واضح لانه من غير المعقول ان تسير عملية نظام القصيدة وتنجز هذه التجربة دون ان يجمعها نظام خاص او يوحد بين اجزائها رابط بحيث تصبح هيكلا شعريا موحدا.

---

(١) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية / ٩٧ .

[و يبدو ان هذا التنظيم كان واضحا كل الوضوح في ذهن الشاعر، وهو ينسج ابيات قصيدته، ويجمع اطرافها، حتى تتلاقى الافكار وتتحد الصور واللوحات في اطراد شعري متجانس تنمو من خلاله القصيدة نموا فنيا متكاملا. وتتألف من وحداته عوالم القصيدة تألفا دقيقا، يوحي بالادراك المسيطر، والاحساس الواعي الذي يتابع هذا التكامل والتأليف] (١).

ولم يكن حديث الفرسان عن الصبر وقيمته يخرج عن اطار الدلالة اللغوية التي حددتها المعاجم والقواميس، فذكر الزبيدي في تاجه:[الصبر: نقيض الجزع، وهو حبس النفس عند الجزع ، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبرا. والصبر: الحبس والكف في ضيق ومنه قيل: فلان صبر، اذا امسك وحبس للقتل، فالصبر: حبس النفس عند الجزع، وحبس اللسان عند الشكوى، وقيل الصبر: الوقوف مع البلاء بحسن الادب. وقيل هو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى، وقال عمرو بن عثمان: هو الثبات مع الله، وتلقي بلائه بالرحب والسعة. وقيل مراتب الصبر خمسة : صابر ومصطبر ، ومتصبر ، وصبور ، وصبار . فالصابر : اعمها ، والمصطبر المكتسب للصبر المبتلى به والمتصبر : متكلف الصبر حامل نفسه عليه ، والصبور : العظيم الصبر الذي صبره اشد من صبر غيره . والصبار : الشديد الصبر] (٢).

ولم يخرج استعمال الشعراء الفرسان للصبر عن حدود هذه المعاني والمضامين التي حددتها المعاجم ، ولكنها جاءت ضمن سياق شعري ، حرص الشعراء على اضفاء بعض اللمسات الفنية والجمالية على الصور والمعاني التي ورد فيها الصبر .

---

(١) المصدر السابق / ٩٨ .

(٢) تاج العروس / مادة (صبر) .

ان القيمة الكبيرة التي تختزنها مفردة الصبر جعلت الشعراء الفرسان ، وهم يواجهون المواقف الصعبة والمسالك الوعرة ان يحرصوا على تهيئة كل المستلزمات التي يحققون بها الغلبة والفوز ، وفي مقدمتها النفس الصابرة التي جعلوها عماد النصر ومرتكزه .

فيشير عنترة وهو الفارس الذي خبر الميادين ، واختبرته ساحات الوغى الى ما اعده للمواجهة فيذكر الصبر اولا ثم يهيء بعد ذلك مستلزمات المعركة من خيل عتاق نجيبة ، فيقول :

صبر اعدوا كل اجرد سابح ونجيبة ذبلت وخف حشاها [١]

ولايغفل يزيد بن الخذاق اهمية الصبر ، وهو يعد للمعركة كل مستلزماتها ، فيعد سبحة ، ويرتدي سلاح الشجعان ، ولكنه لايكتفي بذلك بل يردفها جميعا ، بما يتحلى به من الصبر والجلد ، فيقول :

اعددت سبحة بعدما قرحت ولست شكة حازم جلد [٢]

ويخبر عنترة عن مقدار صبر فرسان قومه ، في معركة اشادته ببطولتهم ، فيقول :

وفوارس لي قد علمتهم صبر على التكرار والكلم [٣]

ولايكتفي الشعراء باسباغ صفة الصبر على انفسهم بل يطلقونها على خيلهم ، لان الخيل ينبغي ان تتعود على التحمل والتعب ، فشق علقمه بجري فرسه وكرمه وصبره على الرغم مما به من علة وتعب ، فيقول :

أخاثقة لا يعلن الحي شخصه صبورا على العلات غيرمسبب [٤]

---

(١) ديوان عنترة / ٣٠٤ ، الاجرد : القصير الشعر من الخيل ، ذبلت : أي خفيفة اللحم .

(٢) المفضليات / ٢٩٦ ، قرحت : تمت اسنانها و ذلك في الخامسة من عمرها .

(٣) ديوان عنترة / ٢٧٥ ، التكرار : كثرة الكر .

(٤) ديوان علقمة الفحل / ٩٢ .

ويستدر عامر بن الطفيل مشاعر فرسه ، ويطلب منه ان يتأمل مشهد انهيال رماح الاعداء عليه ، فيخاطب فرسه قائلا : الست تراني صابرا على ما يرد علي من الرماح ، وانت فرس كريم شريف الاصل فكن صابرا ، لان من صبر له سيكون مصيره الفتك والقتل ، فيقول :

ألست ترى أرماحهم في شرعا وانت حصان ماجد العرق فأصبر

أردت لكيما يعلم الله أنني صبرت وأخشىمثل يوم المشقر [١]

وتبرزقيمة الصبر وأهميته عند الفرسان عندما تشتجر العوالي ، ويلتحم الرجال ، وتكون الحرب ميدان اختبار الرجولة ومضمار امتحان البطولة ، فيتناخى الشجعان بما اعدوه لها من مستلزمات وادوات ، ويكون الصبر في هذا الموقف هو العنصر المعول عليه في حسم المنازلة ، وتحقيق الغلبة ، ويعولون عليه . ويستنزفون كل ما ما اختزنوه منه لمثل هذه المواقف .

فيتدرع به بشر بن أبي خازم عندما تشتجر الرماح ، وتكشف الحرب عن اوزارها ، وتتضح اهوالها ، فيقول :

صبورا عند مختلف العوالي إذا ما الحرب أبرزت الكعابا [٢]

ويجسد دريد بن الصمة ، وهو الفارس المجرب الذي عرفته ساحات الوغى سلوك الفرسان الذين يتحلون بالصبر فلا يترددون ولا ينهزمون حين ينهزم الجبناء ، فيقول :

قوم إذا اختلف الهيجاء واختلفت صبر إذا عرد العزل العواوير [٣]

---

(١) ديوان عامر بن مالك / ٦٢ .

(٢) ديوان بشر بن ابي خازم / ٢٨ – الكعاب : الجارية التي كعب ثديها أي نهد . و ابرزت الكعاب كناية عن شدة الحرب .

(٣) ديوان دريد بن الصمة / ٧٦ – عرد : فر و هرب . العواوير : الجبناء السريعو الهرب .

وحين يركز الفرسان على الصبر بوصفه قيمة كبيرة تستحق الاشادة والذكر الحسن ، فانهم يدركون انه افضل عتاد يواجهون به عاديات الدهر ، ويتذرعون به حين لا يجدون به شيئا يجملون به النفس سواه ، والى ذلك أشار الشقرى في قوله :

شكا و شكت ثم أرعوى بعد وارعوت وللصبر ان لم ينفع الشكواجمل [١]

وحين تنزل النوائب بالمرء ولا يجد غير الصبر زادا ليقيه من عاديات الدهر فانه يوطن النفس عليه ، ويأمرها بأن تكون أكثر جلدا وتحملا ، والى ذلك أشار ذو الاصبع العدواني في قوله :

وإذا دعيت إلى المهم فكن لفادحه حمولا [٢]

ويؤكد عبيد بن الابرص قيمة الصبر في الملمات من خلال تكرار مهمة الصبر في البيت الواحد ، ليبين أثره حين لايجد الانسان غيره سبيلا ، فيقول :

صبر النفس عند كل ملم وان في الصبر حيلة المحتال [٣]

وحين تشتكي النفس من كثرة ما اصابها ، ونزل بها ، فأن طرفة بن العبد يحسم كل تردد يمكن ان يساور النفس فيأمرها بالصبر ، وكيف لا تصبر وهي من قوم عرفوا بصبرهم السابق ، فيقول :

وتشكى النفس ما صاب بها فأصبري انك من قوم صبروا [٤]

ان اعداد النفس على الصبر ، وتوطينها على تحمل مشاقه ، جعلهم يتذرعون به ، وهم يلمسون ظلم الآخرين لهم ، وتجاوزهم عليهم .فيصبر تأبط شرا على ظلم الليثي له ، وانتهاكه لحرمة الصلة الموجودة بينهما [٥] .

---

(١) لامية العرب (للشنفري) / ٤٦ .

(٢) ديوان ذي الاصبع العدواني / ٧٤ .

(٣) ديوان عبيد بن الابرص / ١١١ .

(٤) ديوان طرفة بن العبد / ٥٦ .

(٥) ديوان تأبط شرا / ١٠١ .

ويعلم سلامة بن جندل ، انه لاينجيهم من دواهي الشر إن ازمت سوى الصبر ، فيتحلى به [١] . ويصبر عروة بن الورد في الزمان المجدب ، ليصون عرضه عن الذم [٢] . لانه يدرك ان مضاء الانسان ، وصدق عزيمته ، وقوة صبره انها تتجلى حين يولي الشيء فيذهب ، حيث يقول :

بدا لك مني ،عند ذاك صريمتي وصبري إذا ما الشيء ولى فأدبرا [٣]

وحين تتجاذب المصائب والرزايا دريد بن الصمة بفقد اخيه ، ويدعوه نداء الاخوة الصادقة الى بكاء أخيه ، لكنه يأبى ان يذرف الدموع ، لانه بني على الصبر حتى صار جزءا منه ، والى ذلك أشار في قوله :

تقول: الا تبكي أخاك وقد أرى مكان البكا: لكن بنيت على الصبر [٤]

ولم يقتصر صبرهم على ما كانوا يلاقونه من ضراوة خصومهم ، وشدة بأسهم في ميدان الحرب ، بل اتخذوه مسربا حاولوا من خلاله التقليل من فداحة ما كانوا يشعرون به ازاء ظلم اخوانهم وحلفائهم [٥] .

فصبر اوس بن حجر ازاء قطيعة بني عمومته لاينضب ، فهو يصلهم حين يصلونه، ولكنه يصبر على هجرهم، لان الصبر من سجاياهم، وقد اشار الى ذلك في قوله:

فان تصلونا نواصلكم وان تصرمونا فانّا صبر [٦]

والشعر بحكم ارتباطه بالاحاسيس الانسانية المشحونة بفكر الشاعر، وما يعتقد به قادر على تكوين فكرة واضحة لقيمة الصبر ، ومكانته في حياة العرب، وكان

---

(١) ديوان سلامة بن جندل / ١١٨ .
(٢) ديوان عروة بن الورد / ٦٥ .
(٣) المصدر نفسه / ٦٣ .
(٤) ديوان دريد بن الصمة / ٦٣ .
(٥) ديوان عبيد بن الابرص / ٧ .
(٦) ديوان اوس بن حجر / ٢٩ .

من الطبيعي ان يحتل الصبر مساحة واضحة في شعر الفرسان، وان تشكل دلالاته مادة للشعراء، استعانوا بها في التعبير عن تجاربهم، لاسيما في موضوعات الفخر والمديح والهجاء.

فقد استخدموا معاني الصبر في تصوير جوانب القوة والبطولة في معرض فخرهم بامجادهم ومآثرهم، بوصفه يمثل لازمة من لوازم بناء شخصية الفارس وما يجب ان يتحلى به من الشجاعة والوفاء والصبر على الشدائد، ودفع الملمات وتحمل الاعباء وغيرها من المعاني التي يمكن ان يؤديها الفارس، ويحرص على الالتزام بها، ويجد في ادائها ضربا من المرونة ولونا من الوان الفروسية.

فحين يشهد ربيعة بن مقروم طراد الحرب، وينهزم الضعفاء ويثبت ويصبر[١]. ويوطن عنترة نفسه على الصبرعلى الشدائد، ويثبتها حين تخور عزائم الضعفاء [٢]. ولتأبط شرا رأي فيمن يدعي مسميات البطولة ، ولكنه هل سيمتلك صبره ؟ ، وقد أشار الى ذلك في قوله :

فهبه تسمى اسمي وسماني اسمه

فأين له صبري على معظم الخطب [٣]

ويرتدي الشنفرى ثوب الصبر عند الشدائد بقوة قلب ، وضبط النفس [٤] . وصبر خفاف بن ندبة لا حدود له فهو صبور على ما نابه ، لانه يعلم ان الامور تتصرف من حال الى حال [٥] . وفخر ابو زبيد الطائي بأنه من معشر شمائلهم الصبر ودفع الاسى ، وقد اشار الى ذلك في قوله :

---

(١) شعر ربيعة بن مقروم / ٢٦١ .

(٢) ديوان عنترة / ٢٦٤ .

(٣) ديوان تأبط شرا / ٦٤ .

(٤) لامية العرب / ٥٥ .

(٥) شعر خفاف بن ندبة / ٥٠٣ .

إننا معشر شمائلنا الصبر ود فع الأسى بحسن العزاء [١]

ولايرى عنترة حيا من الاحياء صابروا مثل صبر قومه في الحرب ، ولاغرابة في ذلك لأنهم رجال حرب [٢] . ولايجد عمرو بن قمينة غير صبر قومه ، وما أعدوه من أسلحة سبيلا لتحقيق الغلبة والنصر [٣] .

ومثل استخدام الشعراء الفرسان مفهوم الصبر في تعزيز جوانب الاقتدار في سلوكهم الحربي ، واسباغ اوصاف البطولة على فرسانهم بما يجعلهم اشداء في مواجهة الازمات ، وتحدي الصعوبات . فانهم استعانوا بما توحيه دلالة الصبر في تجسيد شخصيات من اشادوا بهم من الرجال الذين استحقوا الاشادة والذكر الحسن. وكانت قيمة الصبر تستخدم مقرونة الى جانب قيم البطولة والشهامة والنجدة واغاثة الملهوف في تصوير شخصيات ممدوحيهم . وكان الشعراء من خلال اسباغهم هذه الصفات على ممدوحيهم يحاولون تصويرهم بهيأة البطل الحقيقي الذي يتميز بسمات الاقتدار الحربي والاخلاقي فقد اسبغ دريد بن الصمة على ممدوحه عبدالله بن جدعان أوصاف الصلابة والجلد في الحرب ، ومنحه القدرة على ديمومة أوارها ، بما يعين عليها بجزيل الحطب ، فقال :

وجلد إذا الحرب مرت به يعين عليها بجزل الحطب [٤]

ولم يجد ربيعة بن مقروم أعف ولا اكثر صبرا على النوائب من ممدوحه مسعود بن سالم ، فجعله :

ولا عفافا ولا صبرا لنائبة وما أنبيء عنك الباطل السيدا [٥]

---

(١) شعر ابي زبيد الطائي / ٥٨٥ .
(٢) ديوان عنترة / ٢٩٩ .
(٣) شعر ربيعة بن مغروم / ٢٨٦ .
(٤) ديوان دريد بن الصمة / ٣٣ .
(٥) شعر ربيعة بن مغروم / ٢٥٨ .

وحياة العرب قبل الاسلام ، كما هو معروف ، حياة حرب وغارات يسقط اثرها القتلى ، فيبكي الاهل والخلان قتلاهم ، ويثيرون ببكائهم دموع قبائلهم ، ويؤججون نيران احزانهم ، فيدفعونهم لاستثارة الهمم وشحذ العزائم . فكانوا يمدحون ابطالهم وساداتهم ، ويصفون مناقبهم ومآثرهم ، فيذكرون ما كان يمتاز به الفقيد من صفات الشجاعة والبطولة والصبر عند الشدائد . وقد جسد هذه الصفات دريد بن الصمة في رثاء أخيه عبدالله ، حيث قال :

كميش الإزار خارج نصف ساقه صبور على العراء ، طلاع أنجد [١]

وكانوا غالبا ما يمزجون رثاءهم بالدعوة الى الصبر على النوائب ، والثبات ازاء المصائب لقناعتهم بأن الموت هو النهاية الحتمية للانسان ، ولكن فداحة المصاب في بعض الاحيان تكون أجل واعظم من مقدار تحملهم وجلدهم . فبينوا فداحة المصاب ، ونفاد الصبر وقلته ، حيث أشار الى ذلك خفاف بن ندبة في معرض رثائة لصخر فقال :

وأخر بالنواصف من هدام فقد أودى ورب أبيك صبري [٢] .

وصور دريد بن الصمة فداحة المصاب بفقد معاوية وجلله ، حتى هد عزمه ، ونفد صبره ، وقد أشار الى ذلك في قوله :

وعز علي هلكك يا بن عمرو ومالي عنك من عزم وصبر [٣]

ولم يستغن الشعراء عن الصبر وقيمته في هجاء وخصومهم ، فقد تضمن هجاؤهم التعيير بالضعف والجبن والهزيمة ، وهي تهم لها وقعها المؤثر في نفس العربي . أما تهمة الفرار وعدم الصبر في ميادين المواجهة ، فهي صور أخذت طريقها الى شعر الهجاء ، وتسربت قوية الى نفس المهجو ، وهو يعاني تأثيراتها

---

(١) ديوان دريد بن الصمة / ٤٩ ، الكميش : الماضي العزوم ، العزّاء : الشدة .

(٢) شعر خفاف بن ندبة / ٤٧٣ ، النواصف : صخور في مناصف اسناد الوادي .

(٣) ديوان دريد بن الصمة / ٧٠ .

وحياة العرب قبل الاسلام ، كما هو معروف ، حياة حرب وغارات يسقط اثرها القتلى ، فيبكي الاهل والخلان قتلاهم ، ويثيرون ببكائهم دموع قبائلهم ، ويؤججون نيران احزانهم ، فيدفعونهم لاستثارة الهمم وشحذ العزائم . فكانوا يمدحون ابطالهم وساداتهم ، ويصفون مناقبهم ومآثرهم ، فيذكرون ما كان يمتاز به الفقيد من صفات الشجاعة والبطولة والصبر عند الشدائد . وقد جسد هذه الصفات دريد بن الصمة في رثاء أخيه عبدالله ، حيث قال :

كميش إلازار خارج نصف ساقه صبور على العراء ، طلاع أنجد [١]

وكانوا غالبا ما يمزجون رثاءهم بالدعوة الى الصبر على النوائب ، والثبات ازاء المصائب لقناعتهم بأن الموت هو النهاية الحتمية للانسان ، ولكن فداحة المصاب في بعض الاحيان تكون أجل واعظم من مقدار تحملهم وجلدهم . فبينوا فداحة المصاب ، ونفاد الصبر وقلته ، حيث أشار الى ذلك خفاف بن ندبة في معرض رثائة لصخر فقال :

وأخر بالنواصف من هدام فقد أودى ورب أبيك صبري [٢] .

وصور دريد بن الصمة فداحة المصاب بفقد معاوية وجلله ، حتى هد عزمه ، ونفد صبره ، وقد أشار الى ذلك في قوله :

وعز علي هلكك يا بن عمرو ومالي عنك من عزم وصبر [٣]

ولم يستغن الشعراء عن الصبر وقيمته في هجاء وخصومهم ، فقد تضمن هجاؤهم التعيير بالضعف والجبن والهزيمة ، وهي تهم لها وقعها المؤثر في نفس العربي . أما تهمة الفرار وعدم الصبر في ميادين المواجهة ، فهي صور أخذت طريقها الى شعر الهجاء ، وتسربت قوية الى نفس المهجو ، وهو يعاني تأثيراتها

---

(١) ديوان دريد بن الصمة / ٤٩ ، الكميش : الماضي العزوم ، العزّاء : الشدة .

(٢) شعر خفاف بن ندبة / ٤٧٣ ، النواصف : صخور في مناصف اسناد الوادي .

(٣) ديوان دريد بن الصمة / ٧٠ .

وآلامها .

ويأخذ التعبير بعدم الصبر والفرار من المعركة صورتين ، فهو أما أن يكون فرديا موجها الى شخص معين للنيل منه ، ومن ذلك قول عنترة متوعدا حصين بن ضمضم المري :

اصبر حصين لمن تركت بوجهه أثرا فاني لا إخالك تصبر [١]

ويتخذ عدم الصبر صورة اخرى عند زيد الخيل ، وهو يواجه عامر بن الطفيل، فيصفه بالخذلان والاستسلام ، فهو لم يصبر في المعركة ، ولم يصمد في المواجهة ، بل سلم نفسه أسيرا ، ولو كان قد صبر لطعنه طعنة متقدة كالنار ، وقد اشار الى ذلك في قوله :

ولو تصبر لي حتى أخالطه أسعرته طعنة كالنار بالزبد [٢]

أما الصورة الثانية التي جاء بها التعبير بعدم الصبر فقد جاءت موجهة الى قبيلة الخصم وقومه . فصور بشر بن ابي حازم هزيمة عامر وتفرقها ، لانها لم تصبر على أذى الحرب ولم تثبت ، وتلك تهمة كبيرة بحق هذه القبيلة ، وقد أشار الى ذلك في قوله :

فطارت عامر شتى شلالا فما صبرت وما حمى التبيع [٣]

ويلوم قيس بن الخطيم خصومه في حرب حاطب لانهم لم يصبروا في الحرب ، وهي ميدان اختبار البأس والصبر ، وقد عبر عن ذلك في قوله :

فهلا لدى الحرب العوان صبرتم لوقعتنا والبأس صعب المراكب [٤]

---

(١) ديوان عنترة / ٣٢٧ .

(٢) ديوان زيد الخيل / ١٦٨ .

(٣) ديوان بشر بن ابي خازم / ١٣٥ .

(٤) ديوان قيس بن الخطيم / ٣٦ .

تلك هي صورة الصبر في شعر الفرسان ، فهي صورة معبرة عن قيمته وكتنزة بدلالاته ، وموحية باهميته ، لأن الصبر هو العنصر الفاعل في شخصية الفارس ، وعلى مقدار التحلي به تتوقف شجاعة الفارس وقدرته على الغلبة والنصر .

المصادر والمراجع :

١- تاج العروس من جواهر القاموس - للسيد محمد مرتضى الزبيدي - تحقيق عبدالستار احمد فراج .

٢- ديوان آوس بن حجر - تحقيق د.محمد يوسف نجم - دار صادر للطباعة - ١٩٦٠ .

٣- ديوان بشر بن ابي خازم الاسدي - تحقيق د. عزة حسن - مطبعة مديرية احياء التراث -دمشق ١٩٦٠ .

٤- ديوان تأبط شرا واخباره - جمع وتحقيق علي ذوالفقار شاكر - مطبعة المتوسط - بيروت /١٩٨٤ .

٥- ديوان دريد بن الصمة الجشمي - جمع وتحقيق محمد خير البقاعي - دار قتيبة - دمشق ١٩٨١ .

٦- ديوان ذي الاصبع العدواني- جمع وتحقيق عبد الوهاب العدواني ومحمد نايف الدليمي-مطبعة الجمهور - الموصل ،١٩٧٣ .

٧- ديوان زيد الخيل الطائي - منشور ضمن شعراء اسلاميون - د.نوري القيسي- عالم الكتب - بيروت ، ١٩٨٤ .

٨- ديوان سلامة بن جندل - تحقيق د. فخرالدين قباوة - حلب - الطبعة الاولى١٩٦٨.

٩- ديوان طرفة بن العبدالبكري - باعتناء مكس سلعنون /مطبعة برطرند/ باريس ، ١٩٠٠.

١٠- ديوان عامربن الطفيل - رواية ابي بكر محمد بن القاسم الايثاري - دار صادر للطباعة / بيروت١٩٥٩.

١١- ديوان عبيد بن الابرص - تحقيق د. حسين نصار - مطبعة الحلبي- مصر- الطبعة الاولى / ١٩٥٧ .

١٢- ديوان عروة بن الورد - شرح ابن الكيث - تحقيق عبد المعين الملوحي - مطابع وزارة الثقافة ، ١٩٦٦ .

١٣- ديوان علقمة الفحل - بشرح الاعلم - تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب / حلب / ط١ /١٩٦٩ .

١٤- ديوان عنترة - تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي - المكتب الاسلامي .

١٥- ديوان قيس بن الخطيم - تحقيق د.ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب - مطبعة العاني - بغداد /١٩٦٢ .

١٦- شعر ابي زبيد الطائي / منشور ضمن شعراء اسلاميون / د. نوري القيسي/عالم الكتب ، ١٩٨٤ .

١٧- شعر خفاف بن ندبة / منشور ضمن شعراء اسلاميون / د.نوري القيسي- عالم الكتب - بيروت .

١٨- شعر ربيعة بن مقروم الضبي - منشور ضمن شعراء اسلاميون / د.نوري القيسي-عالم الكتب ، ١٩٨٤ .

١٩- لامية العرب - للشنفرى - شرح وتحقيق د.محمد بديع شريف -مكتبة الحياة - بيروت/١٩٦٨ .

٢٠- المفضليات - تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - دارالمعارف - بمصر ، ط ٥ / ١٩٧٦ .

٢١- وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية - د. نوري حمودي القيسي- مؤسسة دارالكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل ١٩٧٤ .